

فصلنامه تحقیقات جدید علوم انسانی

Human Sciences Research Journal

دوره چهارم، شماره ۲۸، تابستان ۱۳۹۹، صص ۲۹۱-۲۹۷

New Period 4, No 28, 2020, P 291-297

ISSN (2476-7018)

شماره شاپا (۲۴۷۶-۷۰۱۸)

معاهده فردان ۸۴۳ م. و نتایج القومية في أوروبا

أ.د. رحيم عبد الحسين عباس / جامعة كربلاء\ كلية التربية للعلوم الانسانية

د. هاشم ناصر حسين الكعبي / جامعة كربلاء\ كلية التربية للعلوم الانسانية

م. د. نعيم عبد جوده الشياوي / جامعة كربلاء\ كلية التربية للعلوم الانسانية

Abstract.

This subject has been planned to search one of the most important topics of the early beginnings of a new stage of political nationalist states that appeared after the demise of the last medieval empire, the Carolingian Empire. Although that empire is considered an heir to the Classic Roman Empire, but it was established depending upon a sort of tribal- theological alliance between the Christian Catholic Papacy and the leaders of the Frankish people who were more tribal than national chiefs. However, the large territories populated by various peoples from different origins and races made the continuity of the Carolingian Empire uneasy. In addition, the Germanic tribalism or in other expression the Frinkish tradition positively participated to formulate the division of their great empire in accordance with the prevailed national ambitions. Thus, partition of the Carolingian Empire among the last emperor, Louis the Pious (814- 840 A.D) in 843 A.D appeared to be more nationalist political than traditional tribal one. It finally resulted in the foundation the most prominent two European states, France and Germany.



أولاً: - الظروف التي عُقدت فيها المعاهدة.

لم تكن معاهدة فردان حصيلة علاقات دولية أنتجتها مفاوضات سياسية بحثة. بل كانت نتيجة صراعات مذهبية مسيحية ودولية، ولم يكن هناك قانون مدون ينظم فقرات تلك المعاهدة سوى الاعراف القبلية الجرمانية المتعارف عليها عند شعب الفرنجة في عهدي حكمه الميروفنجي والكارولنجي! فمُنذ سنة ٤٧٦ م. تلك السنة التي سقطت فيها العاصمة الرومانية روما، أو بتعبير آخر انتقال العاصمة الرومانية بشكل نهائي الى بيزنطة ظلت اجزاء غرب اوربا من دون وجود كيان امبراطوري او على الاقل كيان سياسي ينظم الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية هناك.^١

ورث غياب الامبراطورية الرومانية في الغرب ممالك جرمانية متناثرة لم يكن يهمها شيء سوى اسباب الحياة الطبيعية للعيش وحروبها الداخلية.^٢ ومع وجود تلك الكيانات الجرمانية كانت هناك كنيسة القديس بطرس في روما التي تعد نفسها وريثة السيد المسيح وسيدة كنائس العالم على الاطلاق في سعي حثيث للتبشير في نشر الديانة المسيحية فيما بين تلك القبائل الجرمانية وكذلك لتغيير قسم من القبائل الجرمانية التي اعتنقت المذهب الآريوسي لتعتنق المذهب الكاثوليكي الذي تدين به الكنيسة الرومانية الغربية. وقد حققت الكنيسة الغربية نجاحاً منقطع النظير في نشر المذهب الكاثوليكي بين العديد من تلك القبائل ولاسيما شعب الفرنجة **Frankish People** الذي سبق ان اعتنق المذهب الآريوسي ثم تخلى عنه واعتنق الكاثوليكية بفعل جهود كنيسة روما.^٣

ومهما يكن من أمر، فعلى الرغم من أن الامبراطورية الرومانية الشرقية التي اتخذت من بيزنطة عاصمة لم تتخل على الاطلاق عن سيادتها الاسمية في اوروبا الغربية بل وحتى على ممتلكات الكنيسة الكاثوليكية الغربية، الا انها تركت تلك الكنيسة وشأنها في ممارسة نشاطاتها التبشيرية في المراحل الاولى التي لم يطرأ فيها ثمة نشاط سياسي يشكل تنافساً او خطراً على وجود وطموحات بيزنطة. ومما يلفت الانتباه ان كنيسة القديس بطرس قد صبت اهتماماتها على شعب الفرنجة منذ ان ظهرت فيه البوادر الاولى لوجود تنظيم سياسي ووجود حكومة عُرفت بالحكومة الميروفنجية التي ظهرت وتبلورت منذ القرن بواكير القرن السادس الميلادي وسنت لها قانوناً لأول مرة عُرف بالقانون السالي **The Salic Laws** الذي طغت على بنوده الاعراف القبلية التي كان شعب الفرنجة يتعارف عليها.^٤

اخذ نفوذ الكنيسة يتنامى مع مرور الزمن في دولة الفرنجة التي كانت تتكون من ثلاثة مقاطعات، أوستراسيا ونستريا وأكوتن. ومنذ زمن بعيد كان ملوك الافرنج ينصبون حاجباً في بلاطهم الملكي غالباً مايكون من

١. نور الدين حاطوم، تاريخ العصر الوسيط في أريه، الجزء الاول: - من اواخر العصر الرماني الى القرن الثاني عشر، ط ١، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٧، ص ٨٥-٨٦

(2) H. G. Koenigsberger, Medieval Europe 400- 1500, Longman, New York, 1989, pp. 24-25.

(3) H. G. Koenigsberger, Op. Cit, PP. 40- 41.

(4) R. H. C. Davis, A history of Medieval Europe, Longman, London, 1970, P. 109.

٥. أدوارد بروي، تفوق الحضارة الشرقية ترجمة: - يوسف اسعد داغر وفريد م. داغر في: - مورييس كروزيه، تاريخ الحضارات العام، بيروت، باريس، ٢٠٠٦، ص ص ٢٧-٢٩.



تلك المقاطعات الثلاث، وبتزايد ثقتهم بذلك الحاجب اخذت سلطاته بالتنامي حتى أصبح بمثابة الوزير الاول في الدولة. ومنذ عام ٦١٤ م. تعاقب على هذا المنصب عدد من النبلاء بالتوارث حتى وفاة الملك الميروفنجي داجوبرت سنة ٦٣٩ م. أصبحت تلك الزعامات الثلاث تمتلك السلطة الفعلية في الدولة مع الوجود الأسمى للملوك الميروفنجيين^١.

وعلى أية حال تمكن زعماء بلاط اوستراسيا من توحيد سلطة دولة الأفرنج كلها بأيديهم وكان ابرز زعيم حينذاك هو بين الثاني او بين هرستال الذي ظهر في أواخر القرن السابع الميلادي (عاشور، ١٩٣). وفي سنة ٧١٤ م. انتقلت السلطة الى من بعده الى ولده شارل مارتل الذي تمكن من ان يضع السلطة الفعلية بيده عام ٧١٩ م.^٢

ان ما يمكن ملاحظته على سلوك شارل مارتل هو انه كرس معظم جهوده الى تعزيز السلطة الداخلية لدولة الفرنجة وحمايتها من الاخطار الخارجية التي كانت تحيط بها. فقد تصدى الى تهديد العرب المسلمين الذين كانوا يشنون غزواتهم على مملكة الفرنجة من الجنوب قادمين من الاندلس وتمكن ان يلحق بهم هزيمة في معركة بواتيه التي عرفت في التاريخ الاسلامي بمعركة بلاط الشهداء التي لقي فيها قائد جيوش الاندلس عبد الرحمن الغافقي حتفه سنة ٧٣٢ م. وفضلاً عن ذلك فانه توجه الى شن سلسلة من الغزوات على الاقوام السكسون القاطنين في شرق مملكة الفرنجة في المدة (٧١٨-٧٣٨ م.) وبشكل متزامن فانه شن حملتين عسكريتين مماثلتين ضد القبائل الفريزية احدهما في سنة ٨١٩ م. والاخرى في سنة ٨٣٨ م. وكذلك حملتين ضد البافاريين احدهما في سنة ٧٢٥ م. واخرى في ٧٢٨ م. وحملة واحدة ضد قبائل الالمان عام ٧٣٠ م.^٣

أما ما يتعلق الأمر بالإمبراطورية البيزنطية وخلافاتها مع الكنيسة الكاثوليكية الغربية فأنها اعتادت على التغاضي عن النشاطات التبشيرية المسيحية مثلما اسلفنا طالما لم تكن هناك أضراراً تلحق بها من ذلك التبشير. إلا ان تبلور وظهور دولة الفرنجة القوية التي يعتنق شعبها الكاثوليكية ويدنون بالولاء للكرسي البابوي في الغرب المسيحي في عهد زعماء البلاط الجدد أثار حفيظة وشكوك بيزنطة من تلك التوجهات الجديدة. ولما كان من الصعب أن تزج بيزنطة نفسها في صراع ضد البابوية التي أضحت تمتلك نفوذاً روحياً واسعاً في غرب أوروبا، لم تجد في ذلك بداً سوى زعزعة الكنيسة في تحريض اللامبارد ضدها لما كانوا يعتنقون الآريوسية آنذاك ولهم خلافات دينية جوهرية مع المعتقد الكاثوليكي الذي أمسى يحميه زعماء الفرنجة الجدد الأقوياء. مع وجود مثل هذه المعادلة الدولية الدينية، وعلى الرغم من أن الكنيسة الغربية كانت في أمس الحاجة الى دولة الفرنجة ضد اعتداءات اللامبارد إلا ان زعماء الفرنجة او بالأحرى شارل مارتل لم يقدم على

١. سعيد عب الفتاح عاشور، اوربا العصور الوسطى، الجزء الأول: التاريخ السياسي، مكتبة الانكولو مصرية، مصر، الطبعة التاسعة، ١٩٨٣، ص ١٩٢-١٩٣.

٢. المصدر نفسه، ص ١٩٤-١٩٦.

٣. سعيد عب الفتاح عاشور، المصدر السابق، ص ١٩٣.



اغاثة البابوية في بواكير ذلك الصراع، ولكن ما ان انتهى عهد شارل مارتل بوفاته سنة ٧٤١ م. بدا وكأن الأمور تتجه الى التقارب بين كل من البابوية وزعماء الفرنجة الجدد لحاجه كل منهما الى الآخر^١. على أية حال، يظهر أن ذلك التقارب كان ينتظر خليفة ووريث شارل مارتل، ابنه بين الثالث المعروف ب بين القصير (٧٤١-٧٦٨ م) الذي تولى مقاليد الزعامة بعد وفاة ابيه سنة ٧٤١ م. وسرعان ما بادر الى تأسيس علاقة متينة مع البابوية^٢. مستغلاً بذلك حاجتها الماسة لحليف ومدافع عنها ضد اللمبارد الذين اخذت الامبراطورية البيزنطية تدعمهم ضد البابوية التي اخذ نشاطها يبرز للعيان. ومن دون الدخول في التفاصيل في العلاقة المتينة بين بين القصير وكنيسة القديس بطرس الكاثوليكية، فقد قام بين القصير بعقد مجلس شعبي عام لشعب الفرنجة عام ٧٥١ م. قرر فيه عزل شلدريك الثالث او ما يعرف بشلدبرت آخر الملوك الميروفنجيين وفضلاً عن ذلك فانه اراد ان يضيف على عمله ذاك خطوة شرعية فأرسل مبعوثاً الى البابا زكريا في روما لإستشارته واخذ رايه قائلاً "من هو صاحب السلطة الشرعية في البلاد"؟ وقد جاءه رد البابا قائلاً "ان صاحب السلطة الشرعية هو من كانت بيده السلطة الفعلية"^٣. وبهذا ظهرت لعالم العصور الوسطى الامبراطورية الكارولنجية التي تأسست على عقب تلك الحادثة التي اطلق عليها المؤرخ البلجيكي هنري بيرين بالانقلاب الكارولنجي. وقد انتقلت السلطة الكارولنجية من بعد بين القصير الى ولديه شارل وكارلومان، إلا ان وفاة كارلومان ابقت السلطة بيد اخيه شارل الذي عُرف بشارلمان^٤.

ثانياً:- الخلفية الشرعية لمعاهدة فردان.

لم يكن هناك دستور يذكر عن الصيغة القانونية او السياسية التي تم على اساسها التوصل الى معاهدة فردان التي قَسَمَت امبراطورية الفرنجة. وكل ما هناك ان هناك عرف اعتاد عليه ملوك الفرنجة هو ان يقوم الملك بتقسيم مملكته في اواخر ايام حياته بين ابنائه. ومنذ عهد الملوك الميروفنجيين كانت السلطة الملكية متوارثة غير منتخبة بين الابناء الذكور مع استبعاد الاناث؛ فعندما توفي الملك الميروفنجي البارز كلوفيس ٥٥٨م. كان اولاده تييري وكلودومير وشيليدوير وكلوتير قد تقسموا مملكة ابيهم. وما انقذ وحدة المملكة الا وفاة الورثة الاخوة مما جعل العرش يؤول الى كلوتير وحده الذي هو الاخر قسم المملكة بين ابنائه الاربعة شاديير و سيجوير وغونترات وشيلبيرت. وقد دخلت البلاد منازعات دامية الا ان وحدة المملكة ظلت متماسكة بفضل الكنيسة الكاثوليكية ومجالس الاساقفة^٥.

١. نور الدين حاطوم، المصدر السابق، ص ٨٨-٩٠؛

٢. سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق، ص ١٩٥-١٩٦.

(3) R. H. C. Davis, Op. Cit, PP. 135- 136. ; H. G. Kkoenigsberger, Op. Cit, PP. 80- 81.

٤. عبد القادر احمد اليوسف، العصور السطى الاوربية ٤٧٦-١٥٠٠، بيروت، ١٩٦٧، ص ٩٠-٩١.

٥. نور الدين حاطوم، المصدر السابق، ص ٨١؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، ص ١٩٨؛ Paul Vinogradoff, Customary Law in:- The Legacy of the Middle Ages, C. G. Crump and E. F. Jacob, (Edrs), Oxford, 1962, PP. 287- 288.

٦. نور الدين حاطوم، المصدر السابق، ص ٨٨-٨٩.



مما لاشك فيه انه عندما انتقل العرش الى الملوك الكارولنجيين لم يتخل الملوك الجدد ذلك العرف القديم الذي اعتاد عليه الملوك الميروفنجيين ولم ينقذ وحدة وتماسك مملكة الفرنجة الا الصف وحدها في العهد الكارولنجي. فقبل وفاة بين القصير سنة ٨٦٨م. تم تقسيم المملكة بين ولديه كارلومان وشارلمان، فقد أعطى شارل أوستراسيا وجزء من من أكوتن، واعطى كارلومان نستريا وماتبقى من أكوتن. وحال وفاة بين القصير نشب صراع بين الاخوين انتهى بوفاة كارلومان سنة ٧٧١ م. ما أتاح لشارلمان اعادة توحيد المملكة تحت سيادته بشكل اوسع مما كانت عليه، إذ بسط سلطاته على الاراضي الممتدة من مصب الراين حتى مصب الروم ومن نهر المين حتى خليج بسكاي^١.

ان ما يثير الاهتمام حقاً هو انه حتى شارلمان ذلك الرجل المحنك البعيد النظر لم يخرج على ذلك العرف الفرنجي القديم ولم يجر عليه حتى ادنى تعديلات، إذ قسم ابراطورية الفرنجة بين بين ابنايه الثلاث إلا ان وفاة اثنين منهم جعل العرش يذهب الى الولد المتبقى الوحيد، لويس التقى (٨١٤ - ٨٤٠ م.)^٢.

ومع أن لويس التقى لم يكن بالامبراطور الكفوء المؤهل لقيادة امبراطورية الفرنجة ولحمايتها من التهديدات الخارجية، فانه التزم هو الآخر بقاعدة تقسيم الارث الامبراطوري او بتعير آخر السلطة الملكية بين اولاده ذلك التقسيم الأخير الذي وأد الإمبراطورية الكارولنجية التي يمكن وصفها بانها وريثة الامبراطورية الرومانية في الغرب الأوربي بعد غياب طال قرابة الثلاثة قرون^٣.

ففي عام ٨١٧ وضع الإمبراطور لويس التقى مشروعاً لتقسيم الأمبراطورية بين اولاده الثلاثة لوثر ولويس وبين. وفضلاً عن ذلك فإنه تزوج بعد ذلك التقسيم وانجب ولداً ثالثاً اسمه شارل الذي عُرف فيما بعد بشارل الأصغر. لذا فان لويس التقى اعاد القسمة بين الابناء الأربعة ليضمن للوليد الجديد حقه بين اخوته ما جعل الاخوة الكبار يتدمرون من اعادة القسمة فنشبت الخلافات بين الاخوة انفسهم من جهة وبينهم وبين ابيهم الامبراطور من جهة اخرى. وفي سنة ٨٤٠ م. توفي احد الاخوة وهو بين ثم تلاه أبوه الامبراطور لويس التقى في السنة ذاتها ما جعل الخلاف ينحسر بين الاخوة المتبقين الثلاث دام حتى سنة ٨٤٣ م.^٤

ثالثاً:- عقد معاهدة فردان ونتائجها القومية.

وضعت الحرب الاهلية التي اندلعت بين ابناء لويس التقى اوزارها بالتوصل الى صيغة حل بين الاخوة المقتتلين حيث عقدوا اتفاقاً أنهى الحرب في فردان الواقعة على نهر الموز في آب ٨٤٣ م. تقاسموا بموجبه املاك ابيهم. وقد حدث ان تقسموا اجزاء المملكة وفقاً للغة السائدة من المملكة^٥. فكان نصيب شارل الاصغر الأجزاء الناطقة باللغة الفرنسية، نستريا وأكوتن والماركية الأسبانية الواقعة على الحدود الجنوبية. وكان نصيب

١. سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق، ٢٠٠.

٢. سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق، ص ٢١٣.

٣. المصدر نفسه، ص ص ٢١٣-٢١٤.

٤. نور الدين حاطوم، المصدر السابق، ص ص ٢٠٢-٢٠٥.

(5) James Harvey Robinson and James Harvey Robinson, General History of Europe, New York, 1926, P 207. ; <https://m.marefa.org/>. Accessed in 1/ 8/ 2020.



لويس الألماني الأجزاء الناطقة باللغة الألمانية الواقعة شرق الراين في أوستراسيا فضلاً عن بافاريا وسوابيا وسكسونيا. أما لوثر فكان نصيبه الجزء الأوسط من المملكة أي بتعبير آخر الجزء الواقع بين هاتين المملكتين الجديتين، وقد شمل فريزلاند أو ما كان يُعرف بالأراضي المنخفضة والجزء المتبقى من أوستراسيا الواقع غربي الراين وبرغنديا وبروفانس.^١

لا تقع أهمية معاهدة فردان في أنها وضعت النهاية للإمبراطورية الكارولنجية فحسب بل أنها كانت بمثابة الخطوة المبكرة لإيجاد دول قومية جديدة فكان نصيب شارل الأصلع المناطق الناطقة بالفرنسية، ونصيب لويس الألماني المناطق الناطقة بالألمانية. أما نصيب لوثر كان بمثابة خليط ثقافي قومي بين هاتين المملكتين، وقد سميت هذه المملكة الوسطى بلوثر أنجيا التي تعني حينذاك بمملكة لوثر، وقد حُرِفَ مع مرور الزمن فصار اسمها اللورين التي كانت مثار خلافات بين فرنسا وألمانيا على مرور الزمن.^٢

وعلى أية حال، لم يكتفِ التحكيم والتقسيم على هذا الحال فقط، بل ذهب أولئك الأخوة إلى إجراء آخر عندما اجتمعوا على إداء قَسَمٍ ستراسبورك. فقد سبق أقسم شارل ولويس الألماني على عدم التجاوز على مملكة أخيهما لوثر سنة ٨٤٢م، فأدى اليمين لويس أمام جنده في اللغة الألمانية على احترام المملكة الوسطى وفعل مثل ذلك شارل عندما أقسم أمام جنده باللغة الفرنسية.^٣

الخاتمة.

تستخلص مما مر بحثه أن معاهدة فردان قد أنتجت ظروف متباينة معقدة تمثلت بوجود صراعات دولية في ظهور قوة دولية جديدة هي دولة الفرنجة ومن ثم إمبراطورية الفرنجة حاولت التوسع على حساب الارث التقليدي للإمبراطورية البيزنطية التي طالما نادت بالاحتفاظ به ولو اسماً من جهة، وكذلك الصراعات العقائدية المسيحية التي تمثلت بالخلافات الآريوسية – الكاثوليكية التي أخذت حيزاً لا يُستهان به من التاريخ الأوروبي الوسيط من جهة أخرى. وفضلاً عن ذلك كله فإن الصبغة القبلية المتمثلة بالأعراف الجرمانية المتوارثة من الآباء إلى الأبناء كانت لها بصمتها الواضحة في عقد تلك المعاهدة أولاً ومن ثم تقسيم تلك الإمبراطورية إلى ثلاثة دول ثانياً. وعليه فقد أثبتت الوقائع التاريخية أن الاختلاف القومي العرقي لا يمكن أن يكون من الموانع الأساسية من الاختلاط القومي في دولة واحدة. وخير مثال على ذلك هو الملكية الثنائية، النمسا والمجر اللتان كانتا هما الأخرتان جزئاً من الإمبراطورية الكارولنجية ولم ينفكا عن بعضهما إلا عقب الحرب العالمية الأولى.

١. سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق، ص ٢١٤.

(2) Sidney Painter, The Rise of the Feudal Monarchies, New York, 1967, PP. 85- 86. ;

سعيد عبد الفتاح عاشور، المصدر السابق، ص ٢١٦.

(3) J. Roblinson, An Introduction to the History of the Modern Europe, Vol:- II, Boston, 1946, PP. 118-119.



قائمة المصادر.

- مورييس كروزيه، تأريخ الحضارات العام، بيروت، باريس، ٢٠٠٦.
- نور الدين حاطوم، تأريخ العصر الوسيط في أربه، الجزء الأول: - من اواخر العصر الرمانى الى القرن الثانى عشر، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٧.
- سعيد عب الفتاح عاشور، اوربا العصور الوسطى، الجزء الأول: - التاريخ السياسى، مكتبة الانكلو مصرىة، مصر، الطبعة التاسعة، ١٩٨٣.
- عبد القادر احمد اليوسف، العصور الوسطى الاوربية ٤٧٦ - ١٥٠٠، بيروت، ١٩٦٧.

___ H. G. Koenigsberger, Medieval Europe 400- 1500, Longman, New York, 1989.

___ James Harvey Robinson and James Harvey Robinson, General History of Europe, New York, 1926.

___ J. Roblinson, An Introduction to the History of the Modern Europe, Vol:- II, Boston, 1946.

___ R. H. C. Davis, A history of Medieval Europe, Longman, London, 1970.

Sidney Painter, The Rise of the Feudal Monarchies, New York, 1967.

___ The Legacy of the Middle Ages, C. G. Crump and E. F. Jacob, (Edrs), Oxford, 1962.

___ <https://m.marefa.org/>. Accessed in 1/ 8/ 2020.